شهرزاد: قدري

شهادات

علي السباعي

الطبعة الأولى 2016

طُبع في الولايات المتحدة الأميركية

اسم المطبوع : شهرزاد:قدري
اسم المؤلف : علي السباعي
الطبعة الأولى 2016

التنضيد والتصميم والغلاف : دار صافي للترجمة والنشر والتوزيع
الرقم الدولي: ISBN 978 -1- 4951-4526-1
الناشر : دار صافي للترجمة والنشر والتوزيع
طُبع في الولايات المتحدة الأمريكية

DarSafi

www.darsafi.com
info@darsafi.com
Darsafi, LLC
16625 Redmond Way Suite M # 513
Redmond, WA 98052

تراجيديا النصر أو الموت

عَرَضَتْ قناةُ (العربيةُ) تقريرا ً مُصوَّرا ً عَنْ مراسيمَ عُرْسٍ غَريبٍ مِن نَوعهِ جرى في الهندِ : **((حيث جَرَتْ مراسيمُ زفافِ عروسَين - ثور وبقرةٍ - لا تستغربوا ! وقد أرتَدَتْ البقرةُ العروسُ بدلةَ الزفافِ البيضاءِ الجميلةَ ، وارتدى الثورُ العَريسُ بدلةَ العُرسِ السَوداءَ البهيّةَ ، وتمنّى الناسُ الحاضرون للعروسَين - البقرةِ والثورِ- وهم يضعون أكاليلَ الغارِ والياسمينِ عليهما الرفاءَ والمزيدَ من العجول)) .**

لحظات عَرْض حفلة الزفاف كانَتْ تدورُ رُحـى معارك في عمومِ مدنِ العراقِ بين أبناءِ الشعبِ الواحِدِ، وكان صوتُ الرصاصِ يعلو دائما ً على هُتافِ الصِبْيَةِ الذين يجوبونَ شوارعَ الوطنِ هاتفين :- **إمَّا النصرُ أو الموتُ !**

ولم يعلموا أنَّ كلا الأمرَين (النصرِ أو الموتِ) انتحارٌ . يا ألهي **!** متى تنتهي فصولُ مسرحيةِ تراجيديا الدمِ العراقيّ ؟

لقد أَنْفَقـْنا عُمرَنا كُلَّه نَهْتِفُ مُـذْ كُنـّا بعدُ صِبْيَةً صغارا إلى الآن : **إما النصرُ أو الموت !!!**

تُرى هَلْ باستطاعةِ الأدبَ أن يُغيّر من هذه الفوضى ؟ أسئلةٌ أضعُها بين أيديكم الكريمة . أَنَّ الأدبَ لم يَعُدْ يملكُ ذلك البريقَ أيامَ جان بول سارتر . أذْ كانَ باستطاعةِ روايةٍ أن تُغيّر وجهَ العالَم . أما اليومَ فأن الكتّابَ قَدْ أكتَفُوا بالتعبيرِ عن عَجَزِهم وقُصورِهم السياسي، فقط . انتم تعرفون أَنَّ كُتّابا ً أمثال سارتر، و كامو، و دوس باسوس، و جون شتاينبك ؛ هؤلاءُ الكتّابُ العظامُ الملتزمونَ كانوا يثقون ثقةً مُطلقةً بصيرورةِ الإنسانِ وقدرةِ الكتابةِ ودورِها

الفاعلِ في رسمِ معالمِ المستقبلِ، إنَّ الأفتتاحياتِ التي كان يكتبها سارتر وكامو في مجلة (الأزمنة الحديثة)، وموريياك في صحيفة (الأكسبرس) كانت بحق كتابات ملتزمة، ترسمُ معالمَ واضحةً لطريقِ الأنسانيةِ . أما اليومَ فلا أعتقدُ أَنَّ أفتتاحيةِ في صحيفةٍ ما يمكنُ أن تُسْهِمَ في حَلِّ مُشْكِلةٍ من مَشاكلِنا التي لا تُحصى، فالأدبُ لم يَعُدْ سوى صدىً لليأسِ و الأحباطِ، وما عادَتْ علاقةُ الفنّ بالحياةِ، وواجبُ الكاتبِ الملتزم، وقوانينُ الفنِّ الملتزم . أكثرَ القضايا حِدّةً . زَمَنُنا المُعَقّدُ هذا تسودُه الفوضى، ويتطلّبُ فـنـّاً رفيعاً عظيماً عن أنسانِهِ المظلوم .

هَميِّ أن أشاطركم الحديثَ عن الجيلِ الآتي، الأولادُ الصغارُ الهاتفون بمعادلةِ النصرِ أو الموتِ، الصِبْيَةُ الذين يذهبون ضحيةَ حروبٍ عَبَثيةٍ، وفي تقديري هذه هي القضيةُ الأشدُّ رُعْباً في حياتِنا، وأرى أَنَّ مِن مَهمات الأدبِ الوقوفَ بوجهِ تلكَ المآسي .

عَلـينا التأسيسُ لأجيالٍ تعرفُ كيفَ تتحاورُ، وتتساجلُ، وتختلفُ، وتبني، وتعرف أنَّ ذلك حَقٌّ صغيرٌ من حقوقِ وجودها، وقبلَ ذلك أَنْ نُعلِّمَها حجمَها الحقيقيَّ في المحيطِ الأنساني دون أستعلاءٍ و لا تبجّح، كما نُعلِّمُها الاعتدادَ بالنفس كبشرٍ ذوي عِزَّةٍ وكرامةٍ تحترمُ عِزَّةَ الآخرينَ وكراماتهِ والى أنْ يحينَ ذلكَ السلامُ - **الوئامُ** - ترُى متى تنتهي هذهِ التراجيديا الدامية - تراجيديا النصرِ أو الموتِ - حتى نُصفِّقَ للسلامِ وبِشدّة ؟

الحياة أقصر من فتيلة قنديل

كَتَــــبَ شـاعرٌ سـومريٌ مجهولٌ علـى لوحٍ عُمْرُهُ أكثرَ من ستةِ آلافِ سنة، وُجِدَ في أور :- (حياتُنا أقصرُ من فتيلةِ قنديلِ المعبد لِنُعانقَ جديلةَ الشمسِ الطويلةَ / وأحلامَ الناسِ الضائعةَ / ونُسافرُ بها إلى الأبدِ)

لاشيءَ في الدنيا بدونِ قولٍ، ولاشيءَ يعادلُ الكلمةَ لأنَّها الأصلُ، ولاشيءَ يُعادلُ جمالَها حين تكونُ إشارّيةً، موحيةً، متخفيةً، وراءَ كُوَمٍ من القصصِ والحكاياتِ وما خُبِّئَ بين السطورِ، حتى لا أهرمُ تحت وقعِ أقدامٍ مُسنَّنةٍ، مستاءةٍ . أيقظتني دفعةً واحدةً على سوادِ يومي :- **الكلمةُ الصادقة .**

ففزعتُ، ففزعتُ، ففزعتُ من قسوةِ السماءِ الرماديةِ الشاسعةِ في حياتِنا، فتركتُ الضوء، ضوءها بأنامِلِهِ الناحلةِ البيض يُضيءُ عُتمتي الداخليةَ بحزنٍ ساكنٍ كنتُ يقظاً أكتُبُ عن وَجَعي، كتبتُ أَوّلَ قِصّةٍ في حياتي عن وجعِنا العراقيُ، منذُ كتابتِها وقفتُ صغيراً أتطلّعُ بعيونٍ مبهورةٍ في أضواءِ هذا الكونِ وظلماتِهِ .. أيضاً كنتُ مشدوداً إلى مشاعرَ وتيّاراتٍ مُختلفةٍ حوليَ تتضاربُ وتتفاعلُ، وأنا أكادُ أرى . كنتُ أرى لأنني كنتُ أقفُ على تُراثٍ قديمٍ أمُدُّ يَدي إلى نارِ المستقبلِ، وأكادُ اسقُطَ وأنا في مكاني أرى هذا هو : علي السباعي . وَقَفَ منذُ أن كَتَبَ أوّلَ قِصّةٍ قصيرةٍ لهُ، ومازالَ يُلِحُّ على الكلمةِ مثلُ طارقَ النُحاسِ يطرقُ كَلَمَتَهُ فتطرقُ أصابعهُ في الوقتِ نفسِهِ ويحاول أن يكونَ لصوتِهِ انعكاسٌ وان يكونَ لأيقاعاتِهِ تأَثيرٌ وصدىً . نحنُ شعبٌ مغلوبٌ على أمرِهِ، شعبٌ منخورٌ، نَخَرَتْهُ عصابةٌ، شعبٌ جعلوه بلا ذاتٍ ... هذا واقعُنا، شعبٌ متهرّئٌ، كيانُهُ متَهرّئٌ، كُلُّهُ متَهرّئٌ، شعبٌ مبنيٌ على السلّبِ، هذا تاريخهُ أَلَيسَ هذا بكَافٍ بأن يجعلَنا نتعذّبُ، فنكتبُ . كتبتُ،

فكتبتُ، فنُكبتُ، فكتبتُ، لأنَّ النوافذَ كانتْ كلُّها مغلقةً، والأسلاكُ المُلتهمةُ قد قَضَمَت مّنا الكثير، ساعَتَها تعلّمتُ كيفَ أقاومُها، فكان أن قاومتَها بالكتابةِ، ولعلَّ هذا ما كنتُ أنا أحملهُ درعاً لي : الكتابةُ، الكتابةُ ذلك الترياقُ الذي لم يستطّع أن يقتلني بل زاد من صلابةِ عودي .

كثيرةٌ هي الحوادث التي جَرَتْ وتجري لمجتمِعنا، وهناك شخصياتٌ تعيشُ على هامشِ الحياةِ، وتمتلكُ خصوصيةً في أفعالِها تبدو شاّذةً في عرفِ الأسوياءِ فكتبتُها لأُنصفَها . في داخلي ألمٌ، ألمٌ . لكّنه كبيرٌ، كبيرٌ حتى إنني لا اعرفُ كيف أكتبُه ؟ الكتابةُ تمثّل محورَ حياتي كلّها وجَوهرَها، وأعتقدُ أنَّ الكاتبَ هو : حاملُ مصباحِ ديوجينيس الذي يُنيرُ به عُتمةَ المجتمعِ وإضاءةُ وجوهِ الهامشيّين من أبناءِ هذا الشعبِ، فكانتْ قصصي دعوةً للتعاطفِ مع المظلومين ومنَحِهَم حرارةَ المشاركةِ في المأساةِ . الآن سأفكُّ عقالَ هذه الروح، روحَ علي السباعي وأتوكّل، لأنّ هذهِ الجذوةَ أنفقتْ نارَها معي متأجّجةً ولم تخفُتْ، لذا سأكتُبُ عن : **الأعمقِ والأفدحِ في نفسي .**

في البدءِ تساءلتُ : إن كنتُ مبدعاً حقاً أم هو مجرّد وهمٍ ؟ تُرى كيفَ سأعيدُ نفسي إلى الحياةِ لو لمْ أكنْ كاتباً ؟ فكان بدونِ أذنٍ منّي يتربَّعُ المنسيّون من أبناءِ شعبي المظلومِ على هياكلِ كتاباتي، ويدخلونَ قصصي بلا وَجَل وكأنهم يمارسون ما اعتادوه في أيامِهم وساعاتِهم المنسيّةِ كما هم . لكن! كنتُ بكلِّ موَّدةٍ أقتنصُ انشغالاتِهم بحياتِهم، وتأملَهُم لحالِهم . لكَنَ ! تمعُّني بومضاتِ حياتِهم طالَبتْني بالإشفاقِ عليهمِ مِنهُم، لأن هؤلاء من مَنَحني فرصةَ احتمالِ الحياة، طوبى لهم، لقد تركوني أتلّذذُ بالكتابةِ عن آهاتِهم، وتدوينِ مراراتِهم، وصغتُ هواجسُهم بحزنٍ شفيف . لقد كنتُ منهم، فلهذا لا يؤاخذونني على ما اقترفتُه من محبّةٍ وألفةٍ تجاهَ عصْفِ الحياةِ بهم، لقد تجشموا عناءَ الامتثالِ لقلمي وأنا - الآنَ - مكبلٌ بمحبتهم . بفرحةٍ غامرةٍ كتبتُ قصّصي كلَّها، إنني انتفضَتُ انتصاراً لكرامتي الجريحةِ ولكبريائي المهدورةِ، فلقد حددَّتُ

الخَلاصَ خلاصيَ الفرديَّ بالكتابة . أن الأدبَ يُعيننا على أن نكونَ بشراً صالحين، وعلى الاحتفاظِ بإنسانيتِنا، وقلتُ في نفسي : **عَلَيَّ بالمقاومةِ والكتابةِ للذاتِ بدونِ خوفٍ**، وهكذا كتبتُ قصّصي كلَّها التي صَوَّرتُ فيها ما كنتُ اعتقده . أدب المقاومةِ حفاظاً على الحياةِ . أدبٌ غير نفعي، منقذٌ روحيٌ للذات، ولتفادي الاختناقِ وسطَ المجتمعِ .

كلُّ شيء يبدأ بمأساةٍ، هكذا بدأتْ حياتي (قصصي) بمأساةٍ، بمأساةٍ لم تَتَوقَّفْ ولم تنتهِ هذه المأساةُ الحياةُ. كتبتُ عن أحداثٍ سودٍ عشناها، كتاباتٌ مُقلِقَةٌ، قَلقةٌ، تُعبّرُ عن الحزنِ. حُزنِنا، حزنِنا العراقيِّ، كتبتُ عن الطريقةِ التي أُحسُّ بها الحياة، حياتُنا بتناقُضاتِها المستّمرة . كتبتُ عن : **عالمٍ كريهٍ، قذرٍ، ومرعبٍ قد عشناه .**

أننا نفهمُ كلامَ اللغة التي نتكلّمُ بها . لكن ! كيف نبتكرُ كلاماً للغةِ القلبِ العميقة ؟

كلامُ القلبِ كونهُ تجسيداً لمأساةِ الفردِ الذي يقفُ وحيداً في وجهِ التيار . فكانتْ تجربةُ الكتابةِ لا تصلحُ لشيءٍ وأنّها لم تكنْ أبداً طريقةً للعيشِ، تلكَ هي تجربتي ولم يَدُرْ ببالي أنّها تقّدمُ أجوبةً عن أسئلةِ الحياةِ الكبيرةِ . لكنَّ هذه القصص أثبتُّ بها لنفسي أنني موجودٌ . عندما بدأتُ أكبر. بدأتُ أفكَّرُ بألاّ تكونَ لي وظيفةٌ رسميةٌ معيَّنةٌ، كنت أريدُ الأستمرارَ في القراءةِ وأحلامِ اليقظةِ . يقظتي عندما تقرأون قصصي لن تجدوا في هذه النصوصِ أجوبةً كبيرةً، بل ستجدوَنَ حياةً كبيرةً وأسئلةً كبرى . أسئلةً بلا .... أجوبةٍ .

كان ثباتي كبيراً على محاربةِ العَماءِ والسكونيةِ والموتِ بالكتابةِ، الكتابةِ الواعيةِ، والكتابةِ الواعيةِ دفعَتْ بقصصي التي أكتبها إلى النضجِ الأبداعي .

قلت لنفسي :- علي السباعي . حافظْ على توازنِكَ، وأحذرْ من أن تكونَ الكتابةُ هيَ الشيءُ الوحيدُ في حياتِك، فكانتْ هيَ الشيءَ الوحيدَ في حياتي .

تتوالى الأيامُ عَلينا، أيامُ هبل و سنينهُ، يومَ كانَ الزمنُ زمنَ هُبَلَ ولعبتِه، لنجدَ أنفُسَنا رافضين لكلِّ شيءٍ رغبةً منا أنَّ ذلكَ سيخلصنا في النهايةِ لنرى النورَ أخيراً في حياتنا . تَحَطَمَ هُبل، وصرنا نرى :- **الدمَ أيضا ً بدلَ أن نرى النورَ !!!**

ترى هل نستطيعُ أن نرى النورَ في حياتِنا ثانيةً ؟ كتبتُ القصّةَ القصّيرةَ لأُثبت لنفسي أنَّ الحبَّ في العالمِ مازالَ ميّتاً .

أن قصصّي تُعَتَبرُ حقيقةً موجعةً مُنشّدةً باتجاهِ الهمومِ والمكابدات لأوضحَ للناسِ يوماً ما . بأنني سأكوَنُ حرّاً . حرّاً بها . حرّاً بقصصّي إذا بي خلالَ ما مرَّ من سنينٍ عجافٍ إنني كنتُ أتعذّبُ بالكلماتِ والقصص، وبالزمنِ ونفسي، وكنتُ أسألُ نفسي دائماً وأنا أكتبُ القصة :- ماذا أردتُ القولَ من خلالِ هذه القصّةِ ؟ وبقيَ هذا السؤالُ لي سؤالاً صادماً وفاضحاً بدرجةٍ كبيرةٍ . كنتُ أعرفُ لماذا أكتبُ ولِمَنْ كتبتُ قصصي تلكَ ؟ أَمامَ هذا السؤال ترتعدُ فرائصي فَرِقْاً، أنّهُ سؤالٌ جبّارٌ . جبّارٌ . رغم أنّهُ سؤالٌ في الكتابةُ ؟ فكانتْ الكتابةُ ببساطةٍ :- **هي تجربةٌ ذاتّيةٌ لاكتشافِ العالم** .

فإذا لم تكنْ هنالك من غايةٍ للكتابةِ لكانتْ عمليةُ كتابتها مضيعةً للوقتِ ليسَ إلاّ . أذكرُ جيّداً وأنا أكتبُ كنتُ أبكي، فكانَ بكائِي، بكاءُ قاصٍّ، كان بُكاءً إنسانياً، أنه انفعالٌ أنسانيُّ، إنهُ امتدادٌ لأحزانٍ عراقيةٍ لا تعرفُ الصمتَ، فبكائي كان نوعاً من المقاومةِ للحياةِ و للعيشِ بكرامةٍ، ومن الإمساكِ بآخِرِ أمنيةٍ تفاوتَ الزمن في تجسيدِها وضياعِها أيامَ يدِ هُبَل الحديدية .

سأستمرَّ معانقاً الكلماتِ بشكلٍ جنونيٍّ جنوبيٍّ، فالكلماتُ لازالَتْ ملاذيَ الوحيدَ، وليسَ بوسْعي التراجعُ، التراجعُ عَنْ مشروعيَ الأبداعي، وكيفَ أتراجعُ وقد فتحَتْ لي الكلماتُ أبوابَ أسرارِها كلِّها ؟!!!

لقد منحتني الكلمات عالمها ومنحتني أيضا :- **نبوءتها** . نبوءتها النابعة

من شغافِ القلب . الكلمةُ هي :- **حياتي، وقضّيتي، وخلاصي**، ولأثِرِها منحتني الكلمةُ سّرَ اليقظةِ، اليقظةِ الواعيةِ، ومكّنتني الكلمةُ من فتحِ محّارةِ الأسرارِ، والكتابةُ هي :- **التواصلُ** وكانَ التواصلُ بالنسبةِ لـ (علي السباعي) ولادةً، وكانت الولادةُ نهوضاً، ثم فَرَحاً .

شهرزاد: قدري

- أنا أكبرُ عاشقٍ في الناصريةِ ...

وقعتُ في غرامِ القصةِ التي طَرَقَتْ بابَ قلبي ولم تغادرْهُ، فصِرتُ أُؤمِنُ بأنَ القصةَ هيَ : الحبُ !

... تعلَمتُ مِن مدرسةِ الحياةِ أنَ الموسيقى والشعرَ هما أجملُ ما يمكن أنْ تعطيهِ الحياةُ في هذهِ الدنيا باستثناء الحبِ .لذا أحببتُ القصةَ .. " لأن العلاقةَ بينَ الإنسانِ واللغةِ هي كالعلاقةِ بينَ الرجل والمرأة، إنها علاقةُ حبٍ".. أغرِمتُ بالقصةِ ...

نذرتُ نفسيَ لها . ويومَها قالت لي :-

-أنا حبيبةُ أكبرُ عاشقٍ في الناصريةِ .

* * *

ولدتُ في مدينةِ الناصريةِ التي يقسِمُها نهرُ الفراتِ الأسمرِ نصفينِ متساويينِ، وهذا الأسمرُ الفراتُ دائبُ الحضورِ في قصصي ...إذ أنفقتْ أمي من عمرِها عذاباً وألماً ليومين ونصف اليوم في الطَلْقِ، وبمساعدة القابلةِ (لندا بشاره» التي جاءَتْ إلى العراقِ ممرضَةً مع القواتِ البريطانيةِ التي احتلت العراقَ عامَ أربعةَ عشر وتسع مئةٍ بعدَ الألفِ، وأحبتْ ضابطاً عراقياً من أهالي الناصريةِ، وتزوجها بَعدَ أنْ أشهرتْ إسلامَها، وبَنَتْ جامعاً في الناصريةِ، ولقد ولدتْ أغْلَبَ نسوة المدينةِ، أظهَرتْنِي إلى النورِ يومَ الخميسِ العاشرَ من

شهرِ حزيرانَ عامَ سبعينَ وتسع مئة بعدَ الألف صباحاً عند الساعةِ التاسعةِ والنصف تماماً . إذ خَرَجْت القابلةُ (لندا» لتقول لجدي لأُمي :-

- يا حاج (جابت) ابنتُكَ ولداً فماذا ستسميهُ ؟

- علي ... علي .. (صارلنه يومين ونص نقول ياعلي) .

كانَ جدي لأُمي صاحِبَ صوتٍ شجي، كانَ رَحمهُ اللهُ أذا غنى يُفطِرُ القلوبَ، كانت عائلةُ أمي عائلةً شيوعيةً، وكانَ خالي الأكبرُ عضَو لجنةِ محليةِ الناصريةِ في سبعيناتِ القرنِ المنصرمِ، وكانت عائلةُ أبي عائلةً متدينةً، وكانت كِلتَا العائلتينِ تشتركانِ بحبِ العراق .. حباً جماً عجيبا لا مثيلَ لهُ، وأذكرُ هنا قولاً لأبي (المهندس الزراعي) :- بُني عليْ . إنَ العراقَ مِثلُ شجرةٍ مثمرةٍ تُرَمى بحجرٍ، والعراقُ أنْفَقَ عُمْرَهُ على مدى الدهورِ نخلةً مباركةً تُرمَى دائماً بحجرٍ، والعراقُ يَرِدُ بأحلى الثمر.

كان أخوالي يسحبُونَنيَ صوبَهم، ومِثّلهم يفعَلُ أعمامي، كلَ واحدٍ مِنْهم يُريُدني أنْ أنتمي إليهِ، وكانَ جدي الثالث لأبي قد حاربَ مَع الشاعر الفقيه - محمد سعيد ألحبوبي – عامَ أربعةَ عشر وتسع مئةٍ بعد الألف ضِدَ البريطانيينَ، بَعد استشهادِه أخَذَ الإنكليزُ رأسَهُ مَعَهمْ إلى بريطانيا بحسب أوامر الملكةِ فيكتوريا، وكانَ جدي لبسالتهِ وشجاعتِهِ استطاع أنْ يُنْزِلَ عَلمَ الملكيةِ من على قصر (الزهور) إبانَ قِيامَ الجمهوريةِ بعَد أنَ فَشَلَ كلُ أقرانهِ الجنودِ، فَعلَها رغمَ غزارةِ الرصاصِ، وَكانَ أحدُ أعمامي خطاطاً ماهراً تلمذَ على يدِ الخطاطِ المعروفِ (هاشم محمد البغدادي) أسرتني حروفه التي يصوَغُها من الحبر الصيني، واستهواني الخطُ العربيُ وسحرتني (القصبةُ) وكيفيةَ (قَطها) لأخطَ بَها حروفي، كانتْ أغلبُ بيوتاتِ الناصريةِ من القصبِ، كانَ لنا جيرانُ منزلُهم من قصبٍ، فكنتُ أذهبُ إليهم لأطلبَ منهم القصبَ، فتستقبلُني أبنتُهم الزنجيةُ (شهرزادُ» التي كلما ذهبتُ لأطلُبَ القصبَ كنتُ

أجِدَها مُمسِكةً بكتابٍ تقرأُ فيه ومن حولِها أمُها وأخواتُها، فسألْتني ذاتَ ضحىً : لماذا تحبُ الخطَ ؟

أجبتُها بما كنتُ أسمَعُهُ من عميَ الخطاطِ :- الحرفُ كالمرأةِ الفاتنةِ، فلو أخذْنَا حرفَ الألفِ في خطِ الثُلثُ ففيهِ صدرٌ وعجزٌ، إذِنْ هو كالمرأةِ .!

ضِحِكتْ لكلامي بملءِ روحِها البيضاءَ حتى أنَ عينَيها السوداويين الحراقتين لم تستطيعا أنْ تكتما فرحةَ روحِها، وأمُها وأخواتُها يسألْنَ : (ماذا يقولُ) و (لِمَ تَضحكِين ؟)، تجاهَلْتهُم وقالت لي بحنوٍ وضحكتُها إلى ألآنَ تملأُ روحيَ محبةً :- ابنُ عربي يقول : " إنَ الحروفَ أمم" .

لحظتَها صمتُ لأنَني لم أعِرفْ بماذا أجيبُ، فمسدَتْ على فروةِ رأسيْ، وقادْتَني شهرزادُ من يدي اليمنى داخلَ (الصريفةِ) وأعارتني كتاباً قائلةً بحزمٍ :

- يا علي انك خُلِقتَ لتكتُب .

كانَ الكتابُ (السيد معالي الوزير) لنوال السعداوي، بعدها، أعارتني روايةَ (الصخب والعنف) لوليم فوكنر، أعدتُ لها فوكنر، فأعارتْ إليَ فوكنر في (نور في آب)، فصارت شهرزاد تشرحُ لي كلَ شيءٍ وعلى مرِ الأيامِ صِرتُ أقرأُ، وأقرأُ بِنَهم دونَ أنْ أفْهمَ شيئاً مِما أقرَأُه، ذاتَ مَساءٍ جميلٍ مِثلَها سألتني شهرزادُ بعدَ أنْ أعدتُ لها الشيخَ والبَحرَ :- علي ما الأدبُ ؟

لحظتها خجِلتُ ولم أُجبْهَا، وأطرقتُ باكياً، لأنني حقيقةً لا أعرفُ ما هو الأدبُ ؟ !

مسحت شهرزادُ بيدِها السمراءَ على رأسي بحنانٍ وكأنَها تعتذرُ عن إحراجي، وقالت :- يا علي سارتر يقول : ((إن الأدبَ تمظهرٌ لحريةِ الإنسانِ .))
لَحظَتها أجهشَتُ ببكاءٍ مرٍ، وهَربتُ من خَرِبَتِهمْ لأنَني لا أعرفُ ما تقولَهُ ولا أعرفُ من هو سارتر ؟

لقد أربكتني !!!

انقطعتُ عن زيارةِ شهرزادَ لأيامٍ، زارتني شهرزادُ تسألُ عني، وأهدتني

" ناظم حكمت "، ومن يومِها وأنا أتعذبُ !!!

جئتُها ذاتَ يوم فَرِحاً بعد أنْ خرجتُ من المدرسةِ، فقلتُ لها مسروراً والدنيا كُلها لا تسُعنَي :- شهرزادُ . لقد قبلني المحافظ ُ .

فقبلتني هي بدورها فرِحة ً وطلَبَتْ مِني أنْ أروي لها ما حدثَ، فرويتُ :

" جاءَنا المحافظ ُ، وزارَ صفَنا، وطلبَ منا أنْ نُعرفَ الاشتراكيةَ ؟، فملأتُ الصفَ صراخاً : أستاذ .. أستاذ.. لأنَ زملائي لم يعرفُوها، وكانَ مديرُ مدرستنا ينظرُ إلى متوعداً ومرشدُنا يؤشرُ بيدهِ أن أصمتَ وهو يعضُ بأسنانه على شفته السفلى بعصبية أنْ أجلس، فطِلبَ مِنْي المحافظ ُ أنْ أعرِفَها، فعرفتُها له مثلما عرفها خالي عضُو لجةِ محليةِ الناصريةِ لأحدِ رفاقه، فتقدم المحافظُ إلى رحلتي التي كُتِبَ عليها بطلاءٍ أحمرَ فاقع كالدمِ : جيلُ الثورةِ . وانحنى عليَ وحملني بينَ ذراعيهِ وقبلَني، أقفلَ راجعاً وهو يخاطبُ حاشيَتهُ : أتعرفونَ أنَ لي رِفاقاً لا يعرفونَ الاشتراكيةَ وغادرَ ...

كانت شهرزادُ تنظرُ إلي بفرحٍ وهي تبكي، فأخذتَني من يديَ اليمنى داخلَ " الصريفةِ"، وأعطتني دعوةً لحضور عرضٍ مسرحي هيَ بطلَتُه يُقامُ على بهوِ ألإدارةِ المحليةِ في الناصريةِ .

ذهبْتُ أنا ووالدي لحضور المسرحيةِ، شاهدُتها تطيرُ على خشبةِ المسرحِ كفراشةٍ سوداءَ ببدلَه حمراءَ زاهيةٍ، ترِددُ : " نهايَة الترتيل "

((يأتي الميلادُ دونَ أنْ يفهَمهُ أحدٌ، ويأتي الموتُ دونَ أنْ يفهَمهُ أحدٌ، وبينُهما تُدرِكُ الكائناتُ كلَ شيءٍ ...)) .

في اليومِ الذي أعقبَ العرضَ المسرحي ذهبتُ كعادتي إلى خَربِتَهم فوجدتُ شرطةِ الخيالةِ يملأونَ الزقاقَ، نهروني بعنفٍ، ولم أتزحزح، فعلمتُ بأن أحدَ أخوالِها قد ذَبَحها ! ذبحَ شهرزادَ، لأنها جلبتْ العارَ لهم كونَها تُمَثِلُ، فحزِنتُ، ولم أبك لأنني علِمتُ بأن الزهورَ عمرَها قصيرٌ، انتهى بي الأمر إلى الخيبة التي غمرتْ حياتي، حياتي صارت كلُها باهتة ً. بلا طعم ٍ مِثلَ فيلم باهت، صارت حياتي تطبعُها العزلةُ والقراءةُ والفشَلُ المتواصلَ، كان حزني شديداً على شهرزادَ الذبيحةِ التي ما انفكت ترددُ دوما ً على مسمعي ما قالَهُ جوادُ سليم : (لا يمكنُ لكَ أن تأتي . بجديد ما لم ترتكزْ على القديم) . ترى هل ذبْحُها هو الجديدُ الذي أتت به الحياةُ إلي . آهٍ ؟! كنتُ ذاهباً لأخبرَها أنها في العرض ِ المسرحي كانتْ جميلة ً بالبدلة الحمراء.

* * *

إبانَ حربِ ألثمان ِسنوات عِشتُ حَدثاً مروعاً فَتَح في قلبي جرحاً سوفَ يظلُ مفتوحاً ما حييتُ . أنني مازلتُ أرى، رأي العين ِ والقلب ِ، ذلكَ اليومَ القاتمَ من تاريخ ِ بلدي الأكثرَ عنفاً ودموية ً وحزناً، حيث وقفتُ مهموماً وسطَ شارع الحبوبي في الناصرية، بعد خروجي مَن المدرسةِ وبرفقتي زميلٌ لي، عندما وصلنا ساحة الحبوبي التي يتوسطُها تمثالُ الشاعرِ المجاهدِ (محمد سعيد الحبوبي)، مر رتل عسكري من : - ((اللاندكروزات والوازات والأيفات والفوانات تحمل الدباباتِ وناقلاتِ الجنود، والجنود يلوحونَ لطلابِ المدارس ِ والمارةِ المتعبين بعلامةِ النصر)) . شاهدَ زميلي مثلما شاهدتُ أمَهُ الشابة الجميلةَ زوجةَ الشهيدِ، وقد وقفتْ أمامَها سيارةً نوع تويوتا "سوبر" حمراءُ اللون يقودُها ضابطٌ يضعُ على متنهِ ثلاثةَ نجوم ٍ ذهبيةٍ، راودَها، فصعدتْ إلى سيارتهِ ونحن نتطلع مبهوتين بعيون سومرية سودٍ تلتهبُ دما ً، في أثناءِ مرورِ السيارةِ من أمامنا رمى الضابطُ عُقبَ سيجارتهِ بوجوهِنا

وراحَ عُقبُ سيجارتهِ يعربدُ في الهواءِ حتى تلقفتَهُ الأرضُ . أرضُ العراقِ، وحماةُ البوابةِ الشرقيةِ يلوحونَ بعلامةِ النصرِ لنا. سألتُ نفسي أنذاك :

- كيفَ أنحازُ وبشكلٍ مطلقٍ لمحنةِ الإنسانِ أياً كانَ موقُعهُ ؟

فكانَ هذا السؤالُ ثيمةً جوهريةً في كتاباتي ... يومها حاولتُ أنْ تكونَ حياتي مِثلَ حياةِ (ناظم حكمت)، من بدايتها حتى نهايتِها كِفاحاً مستميتاً دفاعاً عن المظلومينَ والمقهورينَ والمضطهدينَ، فكتبتُ أولَ قصةٍ قصيرةٍ في حياتي وذلكَ في الرابعِ والعشرينَ من نيسان عام أربعة وثمانين وتسعمائة بعد الألفَ، وقد وسْمتُها بعنوانِ :» عربدة عقب سيجارة الضابط العراقي) . بهذهِ القصةِ أكون قد انتميتُ إلى الإنسانيةِ بدلَ أنْ أنتمي لأعمامي وأخوالي، ساعةَ الانتهاءِ من إنجازِها لم تكُ شهرزادُ حيةً لأعرضَها عليها، فعرضتُها على أبي، بعدَ أن فَرِغَ من قراءتِها، قالَ لي :- بُنيَ . لقد اخترتَ المهنةَ التي تجلِبُ الفقرَ !!!

فبادرتهُ فَرِحاً :- لقد اخترتُ المهنةَ التي تُغيرُ العالمَ .

عقبَ أبي بحنو : - ستبقى طَوالَ حياتِكَ تطاردُ خيطَ دخانٍ .

فبكيتُ في سِري، وقدْ لاحظَ حُزني وثباتي، فأوصاني مُرغماً :- بُني . هنالكَ كونٌ بديعٌ من نورٍ خالُقُهُ اللهُ، وإنَ أرضَ العراق ... أرضُ الأنبياءِ والأولياءِ والأوصياءِ، إنها " أرضُ عَبقر"، أرضُ نورٍ، واعلمْ جيداً أنَ الظلمةَ دائماً ضِدَ النورِ، والشرَ دائماً ضد أرضِ النور أرض الخيرِ، أرض العراقِ وإياكَ وأنتَ تكتبُ أنْ تُدِيرَ ظهركَ للإنسانيةِ . لحظَتَها عرِفتُ كيفَ أكونُ نوراً . لكنْ ! حتى الآنَ لم أعرفْ لماذا الآخرونَ يُصرِونَ على أنْ يكونوا شراً في أرضِ النور، وأقول إن ما يحدث من ويلات على هذه الأرض، أرضِ العراقِ هو بسببِ النورِ الذي يشع فيها . وهكذا يستمرُ انطفائي، انطفاءَ عُمرِي قصةَ بأثرِ قصةَ .

* * *

كِبرتُ، كبُرَ همي، وأنا أقرأ، وأقرأُ، وأكتبُ، فكانت الكتابة ُ صمامَ أمانٍ يفرغ ُألمي وحزني وغضبي وجعلتني الكتابةُ أقفُ على قَدمي . دَخلنا الكويتَ بحجةِ أنْ الماجدةَ العراقيةَ صارتْ بعشرة دنانير .

*   *   *

إبانَ الحصارِ كنتُ أنظرُ إلى الحمارِ وأحسدُهُ، وكانَ الحمارُ ينظرُ إلي ويشيحُ بوجههِ عني يزدريني .، أليسَ هذا بكافٍ بأن يجعلني أكتبُ ؟

كنتُ أكتبُ واقرأُ من أجلِ ذاتي، الآنَ صرتُ أقرأُ وأكتبُ من أجلِ الآخرينَ . حاولتُ الكتابةَ عن قناعاتي دونَ خوفٍ فالعمرُ واحدٌ، والعمر قصير .

كنت أُحسُ الحياةَ، حياةَ الآخرين وأحققُ ذاتي في الكتابةِ، نشرتُ أولَ قصةٍ قصيرةٍ ليَ في مجلةِ (الإتحاف) التونسيةَ عام سبعة وتسعين وتسع مئة بعد الألف، والموسومةُ بعنوان : (عرس في مقبرة)، وموضُوعُها مستلٌ من الحِصِارِ، أذ باعَ رجلٌ بناتهُ لبيتِ دعارةٍ كونهُ لا يستطيع أعالتَهنَ، فأصيبت أمهُن بالجنونِ .

١. إنَ طولَ الحياةِ يعتمدُ على ثراءِ لحظاتِها لا على طولها، ويستمرُ انطفاءُ عمري قصةً بأثر قصةٍ، حاولتُ بكتابتي أنْ أجُسدَ أحداثاً تجرحُ الإنسانَ العراقيَ في الصميم، في كرامتهِ، أحداثاأ حطمتْ إنسانية العراقي، وجردْتْهُ من أبسطِ حقوقهِ في وطنٍ يعتريهِ الظلمُ والعنفُ والفوضى والعقمُ.

فصدرتْ مجموعتي القصصية البكر (إيقاعات الزمن الراقص) عام ألفين وأثنين عن اتحاد الكتاب والأدباء العرب . التي كتبتُها بصدقٍ عن نبضِ واقعِنا العراقي البائس وإنسانهِ المسحوق إبان فترةِ الحصارِ، الذي يشكلُ أغلبيةً جائعةً، مريضةً، جاهلةً، مظلومةً تتفرجُ على همومِها ليلَ نهارَ،

وتنظرُ إلى الغدِ بعيونٍ متشائمةٍ ونفوسٍ سوداويةٍ لإنسانهِ الذي أضناه القهرَ استطعتُ التعبيرَ عمن يعيشونَ على حافة الحياةِ في قاعها العراقي الساخنِ ... استطعتُ منذُ البدايةِ أن أنتبهَ لخطورةِ وأهميةِ القصةِ هذا هوَ التحدي .

القصة ُ كائنٌ بدائي متوحشٌ مِثلَ الشعرِ إلى حد كبيرٍ، الشعرُ والقصة أجدهُما يمثلان طهرَ الإنسان. لأنهما متمردانِ على الأعرافِ كونَهما محبانِ للحريةِ، فجاءت ولادةُ أبنتي الثانية :» زليخات يوسف (بعدَ سقوطِ من كتبَ على رحلاتِ دراستنا وبالصبغِ الأحمرِ الفاقع :) جيل الثورة) عام ألفين وخمسة عن (دار الشؤون الثقافية العامة) ببغدادَ .

*   *   *

أجدُني لاأعيشُ إلا من أجل القصةِ، أعيشُ حياتي بكلِ تفاصيلها ولكنني لا أغفلُ عن القصةِ أبداً . كلُ تفصيلٍ في حياتي مضمخٌ بالقصة، وأنا اليومَ أكثرُ ثباتاً على أن القصةَ هيَ خلاصي الأولَ في هذه الحياةِ لأني أجدُ فيها ذخيرةَ عمري كلَهُ، وينطفئُ عمري قصةً بأثر قِصةٍ .. ومازلتُ إلى الآنَ أُطاردُ خيطَ دخانِ ... وأنا الآنَ أسقطُ في النسيانِ .

الاحتراق الكامل في مملكة الزاماما[1]

سألت نفسي كثيراً بعدما فرغت من أنجاز كتابة (احتراق مملكة الزاماما):- ترى هل ابتعدت كثيراً عن الواقع ؟

أعتقد أن (احتراق مملكة الزاماما) قد ابتعدت كثيراً إلى درجة أنها اصطدمت بالواقع، فأردت لها أن تكون هي : الواقع، فكانت هي : الواقع عينه. أن الحرب التي هي قدرنا الدائم نمارسه بنشيد للأطفال : - ((أنا جندي عربي)) . . سيكون حجم السلام بقدر ما سنشيعه من جثث والتاريخ يستحق أن يبصق عليه وفرمانات الحجاج هي قوانيننا وقراراتنا الدائمة ((كل من يريد أعضاءه الذكرية يجلب مقابل وزنه ذهباً)) ألسنا مستهدفين بقتل فحولتنا حتى تكون الديكتاتوريات هي الفحل الوحيد بيننا .

أن جياع العالم الثالث يلتهمون القمر لذلك فالموتى كثيرون إلى درجة أن تكون هنالك درجات شاغرة لخبير بصنع التوابيت والغريب أن الميت الأهم بين كل الموتى هو فرس شهريار والراوية لازالت شهرزاد تروي حكاياتها للفحل الأقوى الذي يريق دماً مع كل فجر، بل، ما الفائدة من الخضر الحي مادام عاجزاً حتى عن غسل قبته الوسخة ؟

أهي مأساة حقيقية حين تكون الحياة محصورة في خيول فائق حسن وفي الخيول الجامحة التي أقسم بها الرب في قرآنه الكريم ؟!

ما انتفاعنا بالسيف الذي نشهره بدون طعان حين يذهب رأس الجد إلى متحف بريطاني وتموت الحبيبة بقطار انكليزي ؟!!

والطامة الكبرى هو أننا نريد أن نبني حضارة ولكنها من نفايات تفوح عفونة

ومناصروها هم الفقراء الجائعون ولم يبق للجمال قيمة لأن الأزهار ندوسها بأحذية قديمة.

وبعد كل ذلك أين هم الرجال ؟!!! حتى تريد (قطام) أن تحرر النساء منهم ! ولماذا هذا القانون الصارم : ((الألم قانون الحياة ((ياللهول ! حينما يتحول الذكور إلى مجرد أنصاب حية لخلود قاتلة فحل الفحول الأمام علي بن أبي طالب (ع» ولكن لماذا السابع عشر من شهر رمضان عام ألف وأربعمائة وتسعة عشر هجرية ؟

ألم تكن مؤامرة قطام بدأت تاريخياً في السابع عشر من شهر رمضان عام واحد وأربعين هجرية ؟

أن أسناني قد اصطكت والقشعريرة قد استولت علي حين وسمتها (وتبقى قطام (بدت الحروف كبيرة مرعبة . ما الذي يبقى حين تحترق السدرة هذه التي تظلل عرش الرب بعد كل جماهير الأنبياء والمصلحين والثوار والمناضلين والشهداء الذين أنجبهم آدم تكون النتيجة أن أسلافه يذهبون إلى الجحيم بلا مغفرة .

أما الجدل بين الأضداد في (مومياء البهلول) فهو جدل للتراجع، فالجنة والنار والنفط والغذاء والأرض مقابل السلام والبندقية والتعويذة والأصلي والمزيف والخير والشر كلها تؤدي إلى ميزان بكف واحدة أما الجسد فهو الذي يتقدم أما الرأس وفيه يكمن جوهر الفكر ينكص إلى الخلف والمأساة المروعة ((لو عكست قلبت)) فالخطأ أذن هو الصح والصح يؤدي إلى الانقلاب، فما الفائدة من المقاومة ؟! أنه الاستسلام والعدمية . أذن أين نتلمس الزمان ؟؟ ومتى يكون المكان في (احتراق مملكة الزاماما) . . ؟ نجد الزمان سرمديا أبدياً فهو موغل في القدم إلى زمن آدم، أنكيدو، كلكامش، عتودة، قطام، الأسكندر المقدوني، رمسيس الثاني، قيصر، كليوباترا، وهولاكو، وماثل في الحاضر

مع كوفي عنان وشارون وكلينتون ومونيكا وعبد الله أوجلان وهانس فون سبونك ولونيل جوس بان، وهو يمتد إلى المستقبل بنبوءات العرافين وتوقعات الأجداد إلى يوم القيامة ((أن كليوباترا كانت سبباً في مقتل قيصر)) . أما المكان فهو سومر وأرض الفراعنة ونيويورك وبير زيت والناصرية، والعالم بأسره .

- ترى هل استطعت أن أكتب عن واقع المأساة أو مأساة الواقع ؟ تلك هي العلة .

علي السباعي

- alialsibai@yahoo.com
- علي عبد الحسين صالح نجم السباعي

- مواليد العراق / الناصرية ١٠ /١٩٧٠/٦
- كتب أول قصة له في ١٩٨٤/٤/٢٤، كانت بعنوان (عربدة عقب سيجارة الضابط العراقي) .
- نشر أول قصة له في مجلة (الإتحاف) التونسية عام ١٩٩٧ م، كانت القصة بعنوان (عرس في مقبرة) .

**** له:**

١. إيقاعات الزمن الراقص / مجموعة قصصية / عن : اتحاد الأدباء والكتاب العرب / سوريا / دمشق / سنة ٢٠٠٢ م.

٢. صرخة قبل البكم / مجموعة قصصية / حصدت الجائزة الثالثة في الدورة الثالثة لمسابقة دبي الثقافية عام ٢٠٠٤/٢٠٠٣ م.

٣. زُليخاتُ يُوسف/مجموعة قصصية / عن : دار الشؤون الثقافية العامة في العراق / بغداد سنة ٢٠٠٥ م.

٤. احتراق مملكة الزاماما /٢٠٠٦ م ، حصدت جائزة ناجي نعمان / بيروت / لبنان / صدرت عن دار الينابيع للنشر / سوريا / دمشق سنة ٢٠٠٩م.

٥. بنات الخائبات / قصتان قصيرتان / عن دار :- ميزوبوتاميا / العراق / بغداد / عام ٢٠١٤ م .

٦. مدونات أرملة جندي مجهول / مجموعة قصص قصيرة جداً / عن دار ميزوبوتاميا / العراق / بغداد / عام ٢٠١٤ م

**** له مخطوطات :**

- يمضي وتبقى شهرزاد (ليالٍ قصصية).
- وبقى رأس النعامة تحت الرمال/قصص.
- رأس النعامة خارج الرمال/قصص.
- قصص قصيرة جدا/مجموعة قصصية.
- روايتان.

**** الجوائز:**

الجائزةالاولىفيمسابقة[بيتالشعرالعربي]للاعوام(١٩٩٦،١٩٩٧،١٩٩٨) على التوالي، عن القصص :

١. مدينة حلمت بحكاياتها /١٩٩٦ م.
٢. إيقاعات الزمن الراقص /١٩٩٧ م.
٣. عرسُ في مقبرة /١٩٩٨ م.

- الجائزة الثالثة لمسابقة مجلة /أور الإبداعية / لعام ١٩٩٩ م عن قصة [مومياء البهلول] .
- الجائزة الثالثة في مسابقة دبي الثقافية ٢٠٠٣/٢٠٠٤ م، عن مجموعته القصصية الموسومة [صرخةُ قبل البكم] .
- جائزة (ناجي نعمان)، في لبنان / بيروت عام ٢٠٠٦ م، عن مجموعته القصصية الموسومة [احتراق مملكة الزاماما] وقد ترجمت النصوص إلى خمس لغات حية.
- الجائزة الاولى في مسابقة اور الابداعية عام ٢٠٠٦م، عن قصة [فرائس بثياب الفرح] .

- الجائزة الاولى في مسابقة برنامج ((سحر البيان))، الذي اطلقته الفضائية العراقية ، عام ٢٠٠٦ م، حصل فيها ** علي السباعي ** على درع الابداع الذهبي في القصة ، وسميَّ بقاص العراقية عن قصته الموسومة بعنوان :- [رحلة الشاطر كلكامش الى دار السلام) .
- درع الدولة العراقية ، درع (ابداع خارج الوطن)، لما حققته للعراق من انجازات وجوائز أدبية ، عام ٢٠١١ م وسلّم الدرع والشهادات التقديرية من قبل وكيل وزير الثقافة العراقية فوزي الارتوشي .
- العديد من الجوائز التقديرية في مسابقات عدة.
- الجائزة الاولى(مناصفة) في مسابقة أور الابداعية عام ٢٠٠٧م عن قصته الموسومة بعنوان [مزاد الرؤوس العلني] .

*** ترجمت بعض قصصه الى الانكليزية والهولندية كتب بحق ادبه العديد من الدراسات النقدية جمعها في كتاب الباحث والكاتب : (حيدر عبدالرحيم الشويلي) . قيد الطبع

*** نشر له العديد من الدوريات والمجلات والصحف والملاحق الادبية العربية والعراقية.